Cattan, Henry. **Palestine: The Road to Peace.**
London: Longman, 1971.

يمكننا ان نقسم الكتاب الى قسمين رئيسيين : الاول تاريخي يعرض التطورات الاساسية التي ادت الى اغتصاب فلسطين وقيام اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، والثاني تحليلي يتناول مسؤولية الاطراف المختلفة في الصراع لينتقل بعد ذلك الى طرح الحل الذي يراه المؤلف لوضع حد للصراع الدائر في المنطقة . ان المنطق الذي يسحب نفسه على الكتاب بقسميه هو المنطق الذي يرى القضية فقط من خلال حقوق الشعب الفلسطيني وعدم وفاء بريطانيا بوعودها للعرب الى جانب عدم قانونية وعد بلفور وقرار التقسيم وما الى ذلك دون ان يتطرق من قريب او بعيد للاسباب الحقيقية للصراع والكامنة في الطبيعة الاستيطانية للحركة الصهيونية وفي تحالف هذه الحركة مع الاستعمار بشكليه القديم والجديد من اجل السيطرة على هذه المنطقة واستغلال ثرواتها وشعوبها . واذا كان الاسلوب الذي يعرض قضية فلسطين على اساس الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني مقبولا جزئيا ، فانه لا يقبل ابدا عندما يسحب نفسه على الحل المقترح للصراع مع الصهيونية واسرائيل . وهذا هو المنزلق الذي يقع به الكتاب في القسم الثاني . فبدلا من التأكيد على نضال الشعب الفلسطيني المدعوم بالامة العربية وما ينتج عن هذا النضال من ردود فعل ، نرى المؤلف يحصر تفكيره ازاء الحل في النواحي القانونية فقط فنجده يقترح اولا انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالتقسيم وباللاجئين والقدس ثم يقترح اعادة النظر في قانونية قرار التقسيم بواسطة محكمة العدل الدولية .

صحيح ان الكتاب باللغة الانكليزية وموجه للاجانب مما يشفع بعض الشيء لهذا الاسلوب القائم على مناشدة العدالة الانسانية والقانون الدولي ، لكنه اسلوب مثالي غير واقعي لانه ينسى ان التاريخ اثبت ان الشعوب لا تستطيع ان تسترد حقوقها من الاستعمار الا بالقتال لان الاستعمار لا يقبل بالتنازل عن مصالحه واستغلاله للشعوب الا مرغما وبالسلاح فكيف باسرائيل ، المجتمع الاستيطاني ؟ ومن ناحية ثانية فان التجربة اثبتت ان لا قيمة للقرارات التي تصدر عن المنظمات الدولية اذا كانت هذه القرارات مخالفة للمصالح الامبريالية لان هذه المصالح لن تدع هذه القرارات تمر بل تحيلها الى ملفات في ادراج الامم المتحدة وفي احسن الاحوال الى جلسات مناظرة في اروقة مجلس الامن . قد يقال : لماذا لا تتبع هذا الاسلوب في عرض قضيتنا طالما ان الحق معنا ؟ الجواب : ليس المطلوب ان تكسب عطف العالم علينا بل تأييده لنا . ولن نستطيع ان نحصل على هذا التأييد الا اذا اثبتنا اننا جديرون بما نطالب به ، بفضل وجود المقاومة الفلسطينية المسلحة .

هذه هي الملاحظة الرئيسية التي لنا على الكتاب وهناك ملاحظات فرعية اخرى منها : (١) لا نعتقد بأن معظم ما حدث في فلسطين ما كان حدث لولا جهل الحقائق وتشويهها المستمر على يد دعاية مضللة وفعالة جدا كما يقول المؤلف اذ ان هناك اسبابا موضوعية وذاتية تقف في الاساس وراء ما حدث ويحدث . (٢) ليس صحيحا تماما ما يقوله المؤلف بأن حكومة الولايات المتحدة قد أيدت ولا تزال تؤيد اسرائيل لان السياسيين الاميركيين من الرئيس ترومان وحتى الان اعتبروا ، او دفعوا ليعتبروا انهم بحاجة للصوت اليهودي للوصول الى سدة الرئاسة لان اساس الدعم الاميركي لاسرائيل هو في المصالح الاميركية في المنطقة وهو في الاستراتيجية الشاملة للامبريالية الاميركية في مواجهة حركات التحرر في العالم ، نقول هذا دون اغفال للتأثير الفعال لليهود الصهيونيين في السياسة الاميركية . (٣) ان تعرض المؤلف للموقف الروسي من القضية هو ظالم وجزئي اذ انه يتحدث ، على الاقل ، عن الموقف في العام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ دون ان يتحدث عن التحول الذي طرأ فيما بعد .

اخيرا لا بد من توضيح نقطة تتعلق بالكتاب دفعا للالتباس : ان المؤلف صريح وواضح بشأن الحق الذي لا ينازع للشعب الفلسطيني في ارضه وسيادته عليها ، وفي تأييده للمقاومة الفلسطينية في نضالها ، ولما ترمي اليه من اجل اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين . كما ولا بد ان نسجل بأن للكتاب قيمة هامة للراي العام الغربي اللبرالي لان المنطق الذي يلجأ اليه المؤلف هو ، كما اشرنا ، منطق لبرالي يناسب العقلية الغربية اللبرالية .

ابراهيم العابد